

تفسير البحر المحيط

@ 211 تَحْتِ أَرَجُلِهِمْ ° { ، المعنى : يغشاهم محيطاً بجميع أبدانهم . وزيح
الأبصار : ميلها عن مستوى نظرها ، فعل الواله الجزع . وقال الفراء : زاغت من كل شيء ،
فلم تلتفت إلا إلى عدوها . وبلوغ القلب الحناجر : مبالغة في اضطرابها ووجيبها ، دون أن
تنقل من مقرها إلى الحنجرة . وقيل : بحت القلوب من شدة الفزع ، فيتصل وجيبها بالحنجرة
، فكأنها بلغتها . وقيل : يجد خشونة وقلبه يصعد علواً لينفصل ، فالبلوغ ليس حقيقة .
وقيل : القلب عند الغضب يندفع ، وعند الخوف يجتمع فيتقلص بالحنجرة . وقيل : يفضي إلى
أن يسد مخرج النفس ، فلا يقدر المرء أن يتنفس ، ويموت خوفاً ، ومثله : { إِرْدِ
الْقُلُوبُ لِدَى الْحَنَاجِرِ } . وقيل : إذا انتفخت الرئة من شدة الفزع والغضب ، أو
الغم الشديد ، ربت وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة ، ومن ثم قيل للجبان ،
انتفخ سحره . والظنون : جمع لما اختلفت متعلقاته ، وإن كان لا ينقاس عند من جمع المصدر
إذا اختلفت متعلقاته ، وينقاس عند غيره ، وقد جاء الظنون جمعاً في أشعارهم ، أنشد أبو
عمرو في كتاب الألقان : % (إذا الجوزاء أردفت التريا % .
طننت بآل فاطمة الطنوننا .
%) .

فظن المؤمنون الخلف أن ما وعدهم الله من النصر حق ، وأنهم يستظهرون ؛ وظن الضعيف الإيمان
مضطربه ، والمنافقون أن الرسول والمؤمنين سيغلبون ، وكل هؤلاء يشملهم الضمير في {
وَتَطَّأُنُّونَ } . وقال الحسن : ظنوا ظنوناً مختلفة ، ظن المنافقون أن المسلمين
يستأصلون ، وظن المؤمنون أنهم يبتلون . وقال ابن عطية : أي يكادون يضطربون ، ويقولون :
ما هذا الخلف للوعد ؟ وهذه عبارة عن خواطر خطرت للمؤمنين ، لا يمكن البشر دفعها . وأما
المنافقون فعجلوا ونطقوا . وقال الزمخشري : ظن المؤمنون الثبت القلوب بالله أن يبتليهم
ويفتنهم ، فخافوا الزلل وضعف الاحتمال ؛ والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون
ظنوا بالله ما حكى عنهم ، وكتب : الظنون والرسولا والسبيل في المصحف بالألف ، فحذفها حمزة
وأبو عمر ووقفاً ووصلاً ؛ وابن كثير ، والكسائي ، وحفص : بحذفها وصلاً خاصة ؛ وباقي
السبعة : بإثباتها في الحاليين . واختار أبو عبيد والحذاق أن يوقف على هذه الكلمة بالألف
، ولا يوصل ، فيحذف أو يثبت ، لأن حذفها مخالف لما اجتمعت عليه مصاحف الأمصار ، ولأن
إثباتها الوصل معدوم في لسان العرب ، نظمهم ونثرهم ، لا في اضطراب ولا غيره . أما

إثباتها في الوقف ففيه اتباع الرسم وموافقته لبعض مذاهب العرب ، لأنهم يثبتون هذه الألف في قوافي أشعارهم وفي تصاريفها ، والفواصل في الكلام كالمصارع . وقال أبو علي : هي رؤوس الآي ، تشبه بالقوافي من حيث كانت مقاطع ، كما كانت القوافي مقاطع .

و { هُنْدَالِكَ } : طرف مكان للبعيد هذا أصله ، فيحمل عليه ، أي في ذلك المكان الذي وقع فيه الحصار والقتال { ابْتُلِيََ الْمُؤْمِنُونَ } ، والعامل فيه ابتلي . وقال ابن عطية : { هُنْدَالِكَ } طرف زمان ؛ قال : ومن قال إن العامل فيه { وَتَطُنُّونَ } ، فليس قوله بالقوي ، لأن البداءة ليست متمكنة . وابتلاؤهم ، قال الضحاك : بالجوع . وقال مجاهد : بالحصار . وقيل : بالصبر على الإيمان . { وَزُلْزِلُوا } ، قال ابن سلام : حركوا بالخوف . وقيل : { * زلزلوا } ، فثبتوا وصبروا حتى نصرنا . وقيل : حركوا إلى الفتنة فعصموا . وقرأ الجمهور : وزلزلوا ، بضم الزاي . وقرأ أحمد بن موسى اللؤلؤي ، عن أبي عمرو : بكسر الزاي ، قال ابن خالويه . وقال الزمخشري ، وعن أبي عمرو : إشمام زاي زلزلوا . انتهى ، كأنه يعني : إشمامها الكسر ، ووجه الكسر في هذه القراءة الشاذة أنه أتبع حركة الزاي الأولى بحركة الثانية ، ولم يعتد بالسكن ، كما يعتد به من قال : منتن ، بكسر الميم إتباعاً لحركة التاء ، وهو اسم فاعل من أنتن . وقرأ الجمهور : { وَزُلْزِلُوا } ، بكسر الزاي ؛ والجدي . وعيسى : بفتحها ، وكذا : { إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا } ، ومصدر فعلل من المضاعف يجوز فيه الكسر والفتح نحو : قلقل قلقالاً . وقد يراد بالمفتوح معنى